

د. ميسون محمد عبد الواحد

المحاضرة العاشرة

عنوان المحاضرة: (شعر الجهاد والفتوح الإسلامية)

إنّ التغمي بالبطولة والأمجاد ظاهرة أدبية موجودة في أدب ما قبل الإسلام عرفناها في أدب الفروسية وشعر أيام العرب، إلا إنّ شعر الفروسية هذا قد تطور في العصر الإسلامي وقد دخلت فيه مفاهيم جديدة أغنته وأعطته طابعا خاصا حين ابتعد الشعراء الفرسان عن العصبية القبلية أو الهوى الشخصي ، واكتسبت أشعار البطولة عندهم طابعا دينيا مبعثه الإيمان بالله تعالى وبرسوله - صلى الله عليه وسلم- وبالإسلام ديناً ، والشهادة في سبيل الله والنصر على الأعداء . ومضامين هذا الاتجاه تتحدد فيما يأتي:

١- الثبات على العقيدة في مكة:

وقد ظهرت هذه الصورة منذ فجر عصر الدعوة الإسلامية، فمنذ أن ظهر الإسلام بمكة وقريش والمشركون يحاولون أن يثنوا المسلمين عن الدين الجديد بشتى الطرق والوسائل، فلما أعياهم ذلك لجأوا الى القوة والبطش وتعذيب المسلمين ، وقد وصلت بعض الموضوعات التي عبر فيها أصحابها عما يلاقونه من عذاب وهول على أيدي المشركين. فهذا خبيب بن عدي الأنصاري الذي قتله المشركون بمكة يدعو الله - قبل قتله - أن يصبره على تحمل أذى المشركين وهو غير خائف من القتل إنما هو خائف على عقيدته من أن تضعف فقال في ذلك:

فَدُو العرشِ صَبْرَني على ما يُرادُ	فقد بضّعوا لَحْمي وقد ضلّ
وما بي حَذارُ الموتِ، إني لميِّتٌ	ولكن حَذارِ حَرِّ نارٍ مُلَقَّعِ
ولستُ بمبديٍّ للعدو تخشعاً	ولا جزعاً إني الى الله مرجعي
فلاستُ أبالي حين أُقتلُ مُسْلِماً	على أيِّ حالٍ كانَ في الله مَصْرَعي

وحين عذب المشركون عمار بن ياسر وأباه وأمه وعدداً من المسلمين ، أعلن عمار ثباته على الإسلام وصبره على الأذى ، ودعوته النجاة من أذى الكفار .

٢- الهجرة في سبيل الله:

وحين أذن الرسول الكريم (صلى الله عليه وسلم) للمسلمين بالهجرة الى الحبشة ، ووجد المسلمون هناك الأمن والطمأنينة ، بعث بعضهم رسائل شعرية الى إخوانهم المسلمين يرغبونهم في الهجرة فأرض الله واسعة ويستطيع المسلم أن ينأى عن الذل والهوان، يقول عبد الله بن الحارث:

يَا رَاكِبًا بَلِّغْنِي عَنِّي مُغْلَبَةً
مَنْ كَانَ يَرْجُو بَلَاحَ اللَّهِ وَالِدِينَ
كُلُّ امْرِئٍ مِنْ عِبَادِ اللَّهِ مُضْطَهَدٌ
بِبَطْنِ مَكَّةَ مَقْهُورٍ وَمَقْتُونٍ
أَنَا وَجَدْنَا بِلَادَ اللَّهِ وَاسِعَةً
تُنْجِي مِنَ الذُّلِّ وَالْمُخْزَاةِ وَالْهُونِ

أما الهجرة الى المدينة المنورة فكانت اختياراً لصبر المسلمين على تحمل فراق الأهل والديار والأحبة ، واللاحق بنبيهم ، وقد صور أحد الشعراء زوجته وهي تتنياه عن الهجرة قائلاً:

وَلَمَّا رَأَيْتَنِي أُمُّ أَحْمَدَ غَادِيَا
بِذِمَّةٍ مَنِ أَخْشَى بَغِيْبٍ وَأَرْهَبُ
تَقُولُ: فِيمَا كُنْتُ لَا بُدَّ فَاعِلًا
فَيَمِّمُ بِنَا الْبُلْدَانَ وَلِتَنَأَ يَثْرِبَ

٣- الجهاد في سبيل الله :

لقد قيلت هذه الأشعار أول الدعوة الإسلامية حين كتب الله لدين الإسلام أن ينتشر، وأن يجد أنصاراً من أهل المدينة والمهاجرين، فأمرهم بالجهاد وأذن لهم في مقاتلة المشركين، وهنا تدخل أشعار الجهاد مرحلة جديدة تعطيها نفساً خاصاً حين يشجع المسلمون بعضهم بعضاً على الثبات في المعارك، وهو معنى وارد في شعر ما قبل الإسلام، إلا أن الروح الإسلامية قد وجّهته وجهة جديدة، فالشاعر المجاهد يدعو إلى الصبر في القتال أو الموت في سبيل الله أملاً في الجنة وثواب الله فيها.

فهذا عمر بن الحمام يرتجز يوم بدر ثم يستشهد في المعركة نفسها قائلاً قبل
استشهاده:

ركضاً إلى الله بغير زاد
والصبر في الله على الجهاد
وكلّ زاد عرضة النفاذ
إلا التقى وعمل المعاد
غير التقى والبرّ والرشاد

وشاعر آخر اسمه عبدالله بن سبرة الخشبي مجاهد آخر يبارز الروم في إحدى
المعارك، فتقطع يده اليمنى فيفخر بهذا الوسام الذي ناله في شرف الجهاد في سبيل
الله، ويفخر بأنه قد قطع بها أوصال اربطون الروم، فلا يأسف لقطعها، لأنها أدت
الرسالة، ويرى أنه ما زال فيها خير لأنه يستطيع أن يمسك بها رمحه، ويقول:

يمنى يديّ غدت مني مفارقةً
لم أستطيع يوم فلتاس لها تبعاً
وقائل غاب عن شأني وقائلةٍ
هلاً اجتنبت عدو الله إذ صرعاً

أمّا عروة بن زيد الخيل فإنه سجّل بطولاته في حروب المسلمين مع الفرس وهو
وإن ذكر الجنة إلا أنه تحدّث عن العقيدة من جانب آخر، حين ذكر بأن نيّته في
الجهاد صادقة لا هدف له إلا الأجر، أمّا الثروة التي قد تخطر في بال كثير من
الفرسان قبل الإسلام فهي متوافرة، ولا شأن له بها وهو زاه فيها، ودافعه صدق العقيدة
ليس إلا. وهذا هو الذي ميّز شعر الجهاد عن شعر الحرب المعروف قبل الإسلام،
كما أنّ قوله الذي سنورده بعد قليل ردّ على من حاول تفسير الفتوح الإسلامية تفسيراً
مادياً، وأنه بسبب الحصول على الغنائم والأموال يقول عروة:

ولمّا دعوا ياعروة بن مهلهل
وقد أضحت الدنيا لديّ زميمة
وأصبح همّي في الجهاد ونيّتي
فلا ثروة الدنيا نريد اكتسابها
ضربت جموع الفرس حتّى تولّت
وسلّيت عنها النفس حتّى تسلّت
فلهه نفسي أدبرت وتولّت
ألا أنّها عن وفرها قد تجلّت

وماذا أُرَجَى من كنوز جمعتها

وهذي المنيا شرعاً قد أطلت

٤ - صور إنسانية في شعر الفتوح:

ويشتمل هذا النوع على:

أ- شعر المقعدين والشيخوخ:

نجد في الشعر الذي قيل في عصر الفتوحات الإسلامية أسمى العواطف الإنسانية في علاقات الأفراد بعضهم ببعض وفي انفعالاتهم في الفرح والحزن والخوف والقلق، ويتمثل بالصور التي رسمها الشعراء المقعدون أو الشيخوخ الذين قعدت بهم شيخوختهم عن الجهاد، وإذا كان هذا الشعر يصور تشبث الآباء بأبنائهم وهي حالة سلبية إلا إنها طبيعية ، غير أنه يصور من ناحية أخرى اندفاع الأبناء على العقيدة ورغبتهم في الجهاد. وقد وصف المخبل السعدي حالته عند مشاركة ابنه في الجهاد . يدفعه حبه لابنه الى القلق عليه الى درجة الاشراف على الموت إشفافاً عليه يقول:

أَيُّهَلِكُنِي شَيْبَانُ فِي كُلِّ لَيْلَةٍ لِقَلْبِي مِنْ خَوْفِ الْفِرَاقِ وَجِيبُ
وَيُخْبِرُنِي شَيْبَانُ أَنْ لَنْ يَغْفَنِي تَعَقُّ إِذَا فَارَقْتَنِي وَتَحُوبُ
فَإِنْ يَكُ غُصْنِي أَصْبَحَ الْيَوْمَ بَالِيًّا وَغُصْنُكَ مِنْ مَاءِ الشَّبَابِ رَطِيبُ
فَإِنِّي حَنْتَ ظَهْرِي خُطُوبٌ تَتَابَعَتْ فَمَشِيي ضَعِيفٌ فِي الرِّجَالِ دَبِيبُ

إنها صورة رائعة لملاح شيخوخة متعبة حاول الشاعر أن يستعطف قلب ابنه فيرده عن عزمه في الجهاد والمشاركة في الفتح .

ويرسم أمية بن الأسكر صورة أخرى لشيخين كبيرين والأب والأم يناشدان (كلاب) ابنهما البقاء ويذكرانه بكتاب الله فيهما، لكن الابن يطيع داعي الله في الالتحاق بالفتوح، فقال الأب:

لِمَنْ شَيْخَانٍ قَدْ نَشَدَا كِلَابَا كِتَابُ اللَّهِ إِنْ قُبِلَ الْكِتَابَا
أُنَادِيهِ فَوَلَانِي قَفَاهَا فَلَا وَأَبِي كِلَابٍ مَا أَصَابَا

إِذَا سَجَعَتْ حَمَامَةٌ بَطْنِ وَاِدٍ إِلَى بَيْضَاتِهَا دَعُّوا كِلَابَا
أَتَاهُ مُهَاجِرَانِ تَكَنَّفَاهُ عِبَادَ اللَّهِ قَدْ عَقَا وَخَابَا

والشاعر هنا يشير الى ما ذكر عن ابنه من أنه سأل مهاجرين من المسلمين عن أفضل الأعمال فاجابا الجهاد في سبيل الله فالتحق بصفوف المجاهدين غير آبه لرجاء والديه ، وقد وصف الأب فعله هذا بالعقوق لوالديه لعدم استجابته لطلبهما له بالبقاء .

ب- شعر الشباب والأبناء المجاهدين:

إنّ روح الحماس التي طغت على الشباب جعلتهم ينضوون تحت راية الجهاد الأكبر تاركين حياة الاستقرار. ويجب أن نتذكّرها هنا أنّ طبيعة تكوين الجيوش آنذاك مختلفة كلّ الاختلاف عن حالتها في الوقت الحاضر، فقد كان الانضمام إليها تطوّعاً لا إجباراً، وكفي أن ينادي منادي الخليفة بأنّ الجيوش تتوجّه إلى فتوح العراق، أو الشام أو بلاد فارس، حتّى يسرع الرجال والمقاتلون بأسلحتهم، يدفعهم الإيمان بالله وطلب ثوابه. هذه الروح هي التي جعلتهم يتغاضون عن الانفعالات والعواطف القوية التي تربطهم بأهليهم وأحبّائهم.

فالنايعة الجعدي يصوّر في أبيات له زوجته المحبّة التي ترغّبه في البقاء، وتذكّره بالموّدة التي تجمع بينهما، وتحاول أن تثنيه عن عزمه بدافع الحبّ، والخوف عليه خوف الشفيق الودود، أو تذكّره بالله ورسوله وتتهل دموعها، فيجيبها جواب العقيدة ويشير إلى قوله تعالى: {كتب عليكم القتال وهو كره لكم} وكيف ينثني عن عزمه وواجبه وهو ممّن لم تستثنه الآيات الكريمة حين استثنت الأعمى والأعرج والمريض من فرض الجهاد؟.

باتت تذكّرني بالله قاعدة والدمع ينهل من شأنيهما سبلاً
يابنت عمّي كتاب الله أخرجني كرهاً وهل أمنع الله ما بذلاً
فإن رجعت فربّ الناس أرجعني وإن لحقت بربّي فارتضي بدلاً
ما كنت أعرج أو أعمى فيعذرني أو ضارعاً من ضنى لم يستطع حولا

فهو يشير في البيت الأخير إلى قوله تعالى: {ليس على الأعمى حرج ولا على الأعرج حرج ولا على المريض حرج ومن يطع الله ورسوله يدخله جنّات تجري من تحتها الأنهار ومن يتولّ يعذبّه عذاباً أليماً}.
أما الحنّات وهو أحد الشعراء المجاهدين الذين حاول آباؤهم الشيخ أن يبقوهم إلى جانبهم، ولكن عقيدته كانت أقوى من عاطفة بنوّته، وأكبر من حبه لأبيه، فيقول في أبيات يخاطب بها أباه يعتذر بأنّه إنّما يجيب داعي الله وأمر الله قبل أمر الوالدين يقول:

أَلَا مَنْ مُنْبِغٌ عَنِّي ذُرِّيحًا فَإِنَّ اللَّهَ بَعْدَكَ قَدْ دَعَانِي
فَإِنْ تَسْأَلْ فَإِنِّي مُسْتَقِيدٌ وَإِنَّ الْخَيْلَ قَدْ عَرَفَتْ مَكَانِي
٥- وصف المعارك :

وردت عند الشعراء إشارات في وصف المعارك التي خاضوها، فمن ذلك وصف ربيعة بن مقروم لبطولاته في المعركة دون أن يكون لفره طابع مميز إلا في إشارته إلى معركة الفيلة التي أقرنت في تحرير العراق فقال:

فَدَعَوْا نَزَالٍ فَكُنْتُ أَوَّلَ نَازِلٍ وَعَلَامَ أَرْكُبُهُ إِذَا لَمْ أَنْزِلِ
وَدَخَلْتُ أَبْنِيَةَ الْمُلُوكِ عَلَيْهِمْ وَلَشَرُّ قَوْلِ الْمَرْءِ مَا لَمْ يَفْعَلِ

والقعقاع الفارس الشاعر الذي أشاد بشعره ببلائه وبلاء المسلمين في الفتوح الإسلامية، لا يجد غضاضة في الإشادة بقدرة أعدائه وبلائهم في القتال، فيصوّر شجاعتهم واستبسالهم وكثرتهم، كلّ ذلك يؤدّي حتماً إلى تصوير مواقف المسلمين الذين استطاعوا أن ينتصروا عليهم، وهم بهذه الصفة التي ذكرها:

لَمْ أَرُ قَوْمًا مِثْلَ قَوْمِ رَأَيْتَهُمْ عَلَى وَلَجَاتِ الْبَرِّ أَحْمَى وَأَنْجَبَا
وَأَقْتَلُ لِلرَّوَّاسِ فِي كُلِّ مَجْمَعٍ إِذَا ضَعُضَ الدَّهْرُ الْجُمُوعَ وَكَبَّابَا

٦- وصف طبيعة البلاد المفتوحة:

وينشط شعر الوصف في العصر الإسلامي وتداخله الجدة وذلك بوصف أشياء
عدة كالآتي:

أ- وصف الشعراء لعلاقته بحيوانه وصفا دقيقا- لا بتأمل أجزاء جسمه كالسابق -
وصفا يقرب من وصف علاقته بانسان آخر فيشاركه مشاعر التعب ومعاناة الحيوان
كقول الشاعر:

شكى الي جملي طول السرى صبرا جميلا فكلانا مبتلى

وإذا احس العربي بالتعب وثقل الطريق نظر الى ناقته نظرة عطف لصبرها معه
فبيشرها بقرب انتهاء الرحلة فيقول:

تُبَشِّرِي بِالرِّفِّهِ وَالْمَاءِ الرِّوِي وَفَرَجٍ مِنْكَ قَرِيبٍ قَدْ أَتَى

ب- وصف الحيوانات الجديدة التي يراها في البلاد المفتوحة ولم يكن قد رآها سابق
كوصف القعقاع بن عمرو للفيلة في شعره بقوله:

أجرْدُ أَعْلَى الْجِسْمِ مِنْهُ أَضْخَمُ يجرُّ أَرْحَاءَ ثَقَالًا تَحْطَمُ

ج- مما يضاف الى عناصر الوصف ما وجد من أشعار وصف البحر في بداية عصر
الفتوح ، وذلك أنّ العرب اعتمدوا ما قبل الإسلام القوافل البرية في تجارتهم ، ولم
يعرفوا ركوب البحر إلا في مناطق معروفة مثل وصف البحر لامرئ القيس، ووصف
السفينة في شعر طرفة لأنّهما كانا في البحرين المطلة على الخليج العربي، ونتيجة
لتحرير العراق واجه العرب مشكلة عبور نهر دجلة لملاحقة فلول الفرس المهزومة ،
ويعد أول عابر للنهر صاحب الأجر والثواب . قال الشاعر مالك بن عامر
الأشعري:

امْضُوا فَإِنَّ الْبَحْرَ بَحْرٌ مَأْمُورُ وَالْأَوَّلُ الْقَاطِعُ مِنْكُمْ مَأْجُورُ

قَدْ خَابَ كِسْرَى وَأَبُوهُ سَابُورُ مَا تَصْنَعُونَ وَالْحَدِيثُ مَأْثُورُ

د- ومن العناصر الجديدة التي أضيفت إلى شعر الفتوح ما قيل من أوصاف في
الطبيعة الغربية التي وجد المسلمون أنفسهم بين أحضانها. لقد اعتادوا من قبل الحياة
في الجزيرة العربية والعراق والشام ولكنهم لم يعتادوا الحياة في المناطق الجبلية لبرودة
جوّها وريحها الثلجية، ولم يعانون في جزيرتهم من تراكم الثلوج، لذا نرى الشاعر مالك

بن الريب يطلب من قائده الانسحاب من مدينة الترمذ، لا لشيء إلا لأنه وأصحابه معه لا يطيقون البرد الشديد، والثلج الذي تزيد الريح حدته:

بت شمالاً خريف أسقطت ورقاً صفرّ بالقاع بعد الخضرة الشيخ
رحل فديت ولا تجعل غيمتنا جأ يصفقه بالترمز الريح
، الشتاء عدو ما نقاتله قفل هديت وثوب الدق مطروح

ويصف أحد الفاتحين برودة الجو في (مرو) ويعجب من تتكر الأرض التي تتابع ثلجها ويشفق على أهلها الذين يقضون الشتاء مقرورين دائماً محتمين بأثواب يدسون أيديهم فيها لشدة البرد كأنهم أسرى قال:

وأرى بمرّو الشاهجان تنكّرت أرضٌ تتابع ثلجها المذرورُ
إذ لا ترى ذا برّة مشهورة إلا تخال بأنه مقررورُ

إنّ هذه الأشعار القلائل التي تصف البرد والشتاء تمثل شعور المسلمين تجاه هذه البيئة الجديدة التي ما اعتادوا عليها من قبل.

تعليق / ما سبب قلة الأشعار التي وردت في وصف البلاد المفتوحة لبلاد المغرب العربي ، ذلك أنّ أغلب الأشعار الواردة من العرب الفاتحين لبلاد المشرق دون المغرب ؟

الجواب : بعد المسافة بين المشرق والمغرب فذلك دفع العرب الفاتحين لبلاد المغرب الى استيطانها مما جعل أشعارهم نادرة الذكر في مؤلفات المؤرخين الذين وجهوا عنايتهم الى المعارك والوقائع المهمة مما تعيه الذاكرة ، وضياح تلك الأشعار بوفاة أصحابها ، زيادة على أنّ أغلب مراكز الحضارة والحركة الفكرية المتمثلة بالتأليف كانت في بلاد المشرق من رواة التاريخ والأدب.

٧- الرسائل الشعرية :

وهي من الميادين الطريفة التي وظف فيها الشعر، لإيصال فكرة الشاعر على شكل رسالة شعرية يكتبها الى من يريد إبلاغه بها . ومن ذلك رسالة الحتات الى أبيه، وكتب بعض الجنود أبياتاً من الشعر بعثوها الى الحاكم يخبرونه عن حالتهم

تارة أو ينبهونه الى حدوث خلاف بين قائدين من قادة الفتح كما ذكر البلاذري،
وهما: سلمان بن ربيعة الباهلي وحبيب بن مسلمة الفهري وتوعد بعضهم بقتل
سليمان فقال الشاعر:

إِنْ تَقْتُلُوا سَلْمَانَ نَقْتُلُ حَبِيبَكُمْ وَإِنْ تَرْحَلُوا نَحْوَ ابْنِ عَقَّانَ نَرْحَلُ

إنّ الرسالة الشعرية كانت معروفة متداولة في شعر ما قبل الإسلام فيما يتعلق
بأيام العرب وحروبها حين يقع الفرسان أسرى في أيدي الأعداء ولا يجدون من يخبر
قبيلتهم عن مكانهم أو حالهم إلا أبيات الشعر ينشدونها فينقلها بعضهم الى قومهم ،
وكثيراً ما تكون تلك تلك الأشعار رمزية أو قريبة الى التعمية ليخفي شأنها على
الأعداء، ولكنها كانت في شعر الفتوحات واضحة في أفكارها وصريحة في أسلوبها
من ذلك قصيدة أبي المختار يزيد بن قيس الكلابي التي رفع فيها شكواه من عمال
الأحواز وغيرهم إلى الخليفة عمر بن الخطّاب - رضي الله عنه - ، واصفاً حالة
بعضهم الذين استغلّوا وظائفهم لجمع المال دون أن يفكروا في أنّه مال بيت
المسلمين، وأنّهم عيّنوا لرعايته وحفظه وتوزيعه كما أمر الله ورسوله:

أبلغ أمير المؤمنين رسالةً فأنت أمين الله في النهي والأمر
وأنت أمين الله فينا ومن يكن أمينا لرب العرش يسلم له صدري
فلا تدعن أهل الرساتيق والقرى سيسفون مال الله في الآدم الوفر
فأرسل إلى الحجّاج واعرف حسابه وأرسل إلى جزء وأرسل إلى بشر
فقاسمهم نفسي فداؤك إنهم سيرضون إن قاسمتهم منك
ولا تدعوئي للشهادة إنني أعيب ولكّني أرى عجب الدهر

وإذا كانت الأبيات الأولى من هذه الرسالة لم ترق إلى المستوى الفنّي لاقتصارها
على سرد الأسماء التي يتّهمها الشاعر، فإنّ الأبيات الأخيرة تلمح فيها جانب الإجابة
الفنّية في تصوير استغلال بعضهم للمسؤولية الملقاة على عاتقهم، والثراء على
حساب الآخرين.

من الموضوعات التي غدّتها الفتوحات الإسلامية، وأعطتها نكهة خاصّة نتيجة البعد المكاني عن موطن الشاعر شعر الحنين وما قيل من قصائد في الحنين إلى الديار والأهل والأحبّة، وقد ورد بعضه مصاحباً للغزل حين يتذكّر الشاعر حبيبته، فتهدج عواطفه، وتتحرك صبابته فيذكر دياره وبعده عنها، وقد ينتقل الشاعر بعدها للحديث عن بطولته. إنّ حديث الحنين صار جزءاً من المقدّمة الغزلية.

ونجد أروع أشعار الحنين في أشعار الشعراء الذين أحسّوا بدنو أجلهم، فتذكّروا أهلهم وأحبّاءهم وتشوّقوا إليهم. ورثوا أنفسهم رثاءً رائعاً زاخراً بالعاطفة الصادقة الجياشة، وتطلّ علينا قصيدتان رائعتان في رثاء النفس قصيدة كثير بن الغريرة النهشلي، وقصيدة مالك بن الريب. فالأوّل كان ضمن فتح جوزجان والطاقان.

والثاني صحب سعيد بن عثمان في فتح خراسان. أمّا كثير فقد تحرّكت شجونه حين استشهد بعض أصحابه، فرثاهم ببيتين فقط في مطلع القصيدة وانتقل بعدها إلى حديث الحنين يبدأ بالبرق اليماني الذي يذكره بأهله، ولكنّه يؤكّد بأنّ حنينه لم يكن جزعاً بسبب استشهاد صحبه، ولا خوفاً من الموت، ولكن لأنّ هذا البرق اليماني ذكّره بأهله الذين يتشوّقون إلى رؤيته، وينتظرون لقاءه الذي لن يكون:

سقى مزن السحاب إذا استقلت	مصارع فتية بالجوزجان
إلى القصرين من رستاق خوط	أقادهم هناك الأقرعان
وما بي أن أكون جزعت إلا	حنين القلب للبرق اليماني
ومحبور لرؤيتنا يرجى الـ	لقاء ولن أراه ولن يراني

ثمّ يبدأ بالفخر بنفسه وكيف أنّه كان يلبيّ دعوة إخوانه إذا استجدوا به، وإنّه لم يكن في يوم من الأيام صدوقاً عن نجدتهم في الحرب. أمّا في أيّام السلم فإنّه الفتى الشهم الذي لا تسول له نفسه أن ينظر إلى زوجة جيرانه، أو أن يسيء إلى أبناء قومه بتصرّف مشين، ثمّ يعود إلى تخيل ما سيتركه موته من أثر في نفوس أهله المنتظرين في العراق:

فلا تستبعدا يومي فإني	سأوشك مرةً أن تفقداني
-----------------------	-----------------------

وتبكي نواحي معولات
حبائس بالعراق منهنهات

تركن بدار معترك الزمان
سواجي الطرف كالبقر الهجان